صفقات رابحة

كيف تحجز مقعداً فى الجنة ؟!

خالد أحمد أبو شادى

حقوق الطبع محفوظة

1421 هـ ـ 2001 م

* الكتـــــاب : **صفقات رابحة** (كيف تحجز مقعداً فى الجنة)

* الـــكـــاتـــب : **د . خالد أبو شادى**

* الطبـــعـــة : الثانية مزيدة 2001 .

* الناشـروالتـوزيع : **دار البشير للثقافة والعلوم ـ طنطا .**

تليفاكس : 3305538 ـ 3321744 / 040

☎ : 2120277 ـ 2120907 / 040

أصالة للتجارة والتسويق ـ الزقازيق

تليفاكس : 055/353988

* التـجـهـيـز الفنى : الندى للتجهيزات الفنية ـ المحلة الكبرى

تليفاكس : 2120277 / 040

* الإيداع القـانونى : **99/14550**

* التـرقـيم الدولى : **I.S.B.N.977-278-146-8**

Web Site :www. albashir.com.eg

E-mail:albashira@compu-castle.com.eg

الإهداء

إلى من أجاب النداء .. ورفع اللواء

هذه جنة الخلد تمشي على الأرض بين يديك

والحور تهتف في الأسحار تهيم شوقاً إليك

ورحمات ربك المنزلة تعرض نفسها عليك

وصوت الحادي ينادي :

الدنيا ميناء يتزود منه المسافرون إلى الجنة أو إلى النار

إيمان لا يتبعه عمل هباء

وشراء الجنة دون دفع الثمن هراء

الرحلة لا تمد على طريق الكسل

والقافلة ليس من زادها طول الأمل

أظهر لله من نفسك قوة .. أقر عين نبيك في قبره

جد في غيظ عدوك الذي أخرج أبويك من الجنة

ادفع ثمن الصحبة إن أردت فإن مجالسة النبيين في الجنة غالية

كحل عيونك بالسهر .. واسرج جوادك للسفر

واعلم أن هجر الوسادة ثمن السيادة .

اصدق مع الله ولو مرة وسترى العجب

أنت مدعو على موائد الكرم الإلهي والأجر الرباني

وحق على المزور أن يكرم زائره

مرحبا بك .

سرور وعرفان

إلى أبي الذي أخذ بيدي إلى طريق الدعوة

وإلى أمي التي غمرتني حبًا وعطفًا وحنانًا

رجاء أن أنال رضاهما عني

فيرضى الله ويتفضل بالجنة

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد . . فقد أنعم الله علي بمنحة في صورة محنة ، خلوت فيها إلى نفسي لأخط هذه الصفحات ، والتي أسميتها (**صفقات رابحة**) ، وهي عبارة عن فصول في مدرسة الترغيب والترهيب ، تلك المدرسة التي تعد من أنجح المدارس في تقويم النفس ودرء عيوبها وحثها على بذل الطاقة واستفراغ الوسع في طلب الجنة وحرث الآخرة ، ولولا هذه المدرسة لكانت القلوب رقعة خربة في غياب ري الإيمان وبواعث الهدى .

قال **يوسف بن أسباط** : " خلقت القلوب مساكن للذكر، فصارت مساكن للشهوات ، ولا يمحو الشهوات إلا خوف مزعج أو شوق مقلق " [1] ، وفي هذا السياق يجيء هذا الكتاب ليحقق هذا الهدف ، وقد عرضت فيه إلى صفقات رابحة مبينا أرباحها أي ثوابها ، وتسهيلات تنفيذها أي ما يعين النفس على أدائها، وشروطها الجزائية المترتبة على تركها أي الخسارة التي يتكبدها من ينام عنها .

وتظهر أهمية هذا الكتاب في أنه لما كثرت مجالس اللغو ، وتشعبت مسالك الهوى ، وطغى عصر المادة ، وتاهت السكينة الإيمانية وسط الزحام ، وعم الضجيج ، وقيس الرجل بغناه ، ووزن الخاطب بماله ، وانشغل هذا بداره وذاك بديناره عن آخرته ومآله ، ووقتها اشتد الظمأ ، وأوشك الناس على الهلاك ، وتعطشوا إلى سماع هتاف : "هيا بنا نؤمن ساعة" . . هتف به **عبد الله بن رواحة** ﷺ ، وعبقته نفحة إخلاص فوصل لنا شذاه عبر مئات السنين ، وما صفقاتنا الرابحة إلا صدى صوت ابن رواحة ، يتردد بين جنبات الأوراق ليصل إلى أعماق الأعماق عسى القلوب تحيا ، والهمم تنهض والعزائم تستعر ، المرعى أخضر لكن العنز مريضة ،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٠) شمس الدين الذهبي ط مؤسسة الرسالة .

فلو تجرعت جرعة دواءٍ لأذن الله لها بالشفاء ، أرباحنا ثمينة داستها أقدام الجُهّال ، وعجز عن التقاطها مشلولو التقى ، وعمي عن رؤيتها مكفوفو الهدى .

وهو كتاب يتوجه أول ما يتوجه إلى الشباب ذكراناً وإناثاً وذلك لاعتبارات عدة :

- منها أن الشباب يمتاز عن غيره بأنه أصفى ذهناً وأقل انشغالاً وأقوى صحة وأمضى عزيمة (فالشمس لا تملأ النهار في آخره كما تملؤه في أوله ، وفي الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة أثمارها ، وبعد ذلك لا تصنع الأشجار كلها إلا خشباً) [1].
- ومنها أن من شبَّ على شيء شاب عليه، فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر، وقلَّ عادة اعتدتها في صغرك فارقتها عند كبرك ، فأنت في شبابك تملك القوة البدنية والروحية التي تستطيع بها غرس الفضائل في نفسك غرساً يستعصي على الاقتلاع مهما طال بك العمر وتغيرت الأحوال .
- ومنها أن هذه المرحلة العمرية ستكون موضع سؤال في اختبار الآخرة لا بد له من إجابة ". . **وعن شبابه فيم أبلاه**" ، وهي مع ذلك سريعة الانقضاء كمثل البرق الذي يضيء يسيراً يسطع بالنور ، ثم يذهب فجأة ويرجع بالظلام ، أو كمثل سحابة الصيف التي لا تلبث أن تنقشع سريعاً .
- ومنها أن الشباب صار هدفاً لشياطين الإنس والجن ، وحقل تجارب لمحاولات إفسادهم وتضليلهم ، يريدونه قوة مهملة في غياب الإيمان مؤاخياً آثامه ، عاشقاً أوزاره ، ضعفه في بره ، وعزمه في غيه ، يريدونه قرداً يقلّد الغرب في كل خصاله إلا الفضائل ، وتلميذاً يتتلمذ على يد إبليس ثم يرتقي في سلم الإبليسية إلى أن يصبح أستاذاً لإبليس .

ومن هنا فقد كتبت هدا الكتاب لشباب الإسلام الصاعد وعرقه النابض وأمله الوثّاب ليكون لهم بمثابة شهر صوم . . بتصفح صفحاته تُفتح للخير أبواب وتُغلق للشر أمثالها ، وبقراءة كلماته تصفد شياطين الإنس والجان ، وتتنزل ملائك الرحمن ، وتظلنا سحائب الغفران ، فإذا بمن نظر في الكتاب يقول بعد ثبوت رؤية هلال الهدي : اللهم أهلّه علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ، وبانقشاع الظلام وبزوغ الفجر يرتفع صوت

---

(١) وحي القلم (٢/٢٣١) مصطفى صادق الرافعي ط دار المعارف .

المؤذن معلناً مولد عهد جديد ، أهم ملامحه :

إمساك عن المحارم ، وصيام عن الآثام ، واستغفار في الأسحار ، وانتظار للأذان بالأشواق ، وتهافت على تكبيرة الإحرام ، وولع بالصف الأول ، وهتر بالذكر ، وكلل للحلال ، وملازمة للكتاب ، ومعانقة للسنة ، وتلمس لمجالس الصالحين ، وتنافس في الخيرات ، ويستمر موسم الصوم قائماً إلى أن تؤذن شمس الحياة بالمغيب ، حينها يفطر الصائمون على صوت أذان ندي ، ترفعه على أسماعهم الملائكة تزف لهم البشرى : ﴿ **وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ [فصلت : ٣٠] ، ليجدوا فيها موائد الإفطار في الانتظار : ﴿ **في مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ [القمر : ٥٥] .

هذا الكتاب صيحة تنادي فيك : قم واصح يا نائم لتوحد الدائم ، الصلاة خير من النوم ، والتجلد خير من التبلد ، العالي يرجو المعالي ، والدون يقنع بالدون ، من جد وجد ومن زرع حصد ، جنة الفردوس تبغي ثمنا ، ومهور العين ما كانت يوما رخيصة .

هذا الكتاب ومضة أمل تسرج لك مصباح نور في ظلمة يأس فتبدده ، وسفينة هداية ترفع لك لواء رشد في متاهة غي فتهديك ، وتمد لك طوق النجاة لتتشبث به قبل أن يبتلعك طوفان الحياة ، ولا يزال الأمل قائما مادام في القلب خفقة من حياة ، وفي الصدر أنفاس تتردد ، وفي الجسد عرق ينبض ، وفي الأجل لحظة عمر باقية .

هذا الكتاب صفحة جديدة تطوي صفحات قديمة ، طالما سطر فيها ملك السيئات بقلمه ، وآن له الآن أن يستريح ويفسح المجال لملك الحسنات ، يسطر صالح الأعمال لترفع الصحف بيضاء مسفرة ، بعد أن ظلت دهرا ترفع سوداء مظلمة .

هذا الكتاب علامة حب واصطفاء ، فلا يرشد الله إلى طريقه إلا من أحب ، ولا ييسر سبل الهدى إلا لمن اصطفى لذا يهدي لقراءة الكتاب من شاء له الخير في الكتاب .

فخذه مني – أخي القارئ – أعواد ريحان زكية الرائحة ، يفوح شذاها من بين الأسطر والكلمات ، طوفت في بساتين القرآن وحدائق السنة وروضات السلف ، وقطفتها

لك فاقبل ريـــاحيني فإن النبي ﷺ قال : " **من عرض عليه ريحـــان فـــلا يـــرده ، فإنـــه خفيف المحمل ، طيب الريح** " (١).

وقبل تقليب الصفحات وتدفق الكلمات أســـتجلب رحمـــات الله وأســـتمطر بركاتـــه ويلهج لساني بالدعاء :

اللهم . . افتح بهذا الكتاب آذاناً صماً عـــن آيـــاتك ، وقلوبـــاً غلفـــاً عـــن أنوارك ، وأعينا عمياً عن آثار قدرتك .

اللهم . . استعمل بسببه أبداناً في طاعتك ، وأقداماً في خدمتك ، وألسنة فـــي ذكرك .

اللهم . . داوِ به قلوباً أعيتها كثرة الذنوب ، ونفوساً أفسدها طول الركـــود ، وانتشلنا به من آبار غفلاتنا ، ومهاوي شهواتنا ، ومصارع أهوائنا ، أنقذنا به مـــن أنفسنا التي بين جنوبنا ، وادفع به عدواً يتربص بنا في صباحنا ومسائنا ، وقوِّ بـــه بواعث الإيمان الدفين في أعماقنـــا ، واجعلـــه حجـــة لنـــا بيـــن يديـــك ، تشـــهد بصدق العبودية لك ، وإخلاص التوجه إليك ، وبذل الأوقات فيك .

اللهم . . لا تعذب عبداً أرشد العباد إليك ، ودلَّهم عليك ، وحبّبـــهم فيـــك ، واختم لنا اللهم بخاتمة السعادة أجمعين .

اللهم آمين . . .

الفقير إلى عفو ربه

د/ خالد أحمد أبوشادى

---

(١) رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم (٦٣٩٢) .

الصفقة الأولى

لا تتبع النظرة .. النظرة

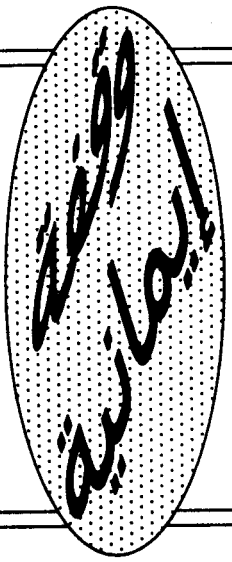

أعد العدو عدته، وأخذ أهبته، ووتر سهمه في كبد قوسه، ثم أطلقه فأصاب الهدف، وما هي إلا لحظات .. حتى سرى السم إلى الجوارح، فصارت جوارح .. اللسان تكلم، والقدم سعت، والجسد انتفض، ودارت العجلة :

نظرة .. فابتسامة .. فسلام ..

فكلام .. فموعد .. فلقاء ..

قبل التنفيذ

مهم :

- **لأن** : النظرة سهم مسموم فأثرها يستمر وإن غاب المنظور إليه ،تشغل فكراً فتورث هماً ، وتبذر شهوة فتنبت هوىً ، شأنها شأن السهم المسموم ، فإن السم يظل يسري منه إلى الجسم وإن نُزع السهم من موضع الإصابة .
- **لأن** : هيبة الله في القلوب قلّت ، والجرأة على محارمه زادت ، وتكرار النظر إلى الفواحش أورث القلب بلادة في الإحساس واستئناساً بالذنب وإدماناً له وفرحاً عند الظفر به .
- **لأن** : أشباه يوسف قلوا ، وعدُوّات الحور العين أطللن من شاشات التلفاز وصفحات الجرائد والمجلات ، وأخوات امرأة العزيز عجّت بهن طرقات المدينة ، في حصار يشبه ما فعلته أختهن من قبل ﴿ **وغلّقت الأبواب** ﴾ [يوسف : ٢٣] ، وأبرزت كل واحدة منهن مفاتنها ، وكشفت ما استتر من زينتها ، ولسان حالها يقول للشباب : ﴿ **هيت لك** ﴾ [يوسف : ٢٣] .
- **لأن** : المرأة أقوى أسلحة الشيطان وأفتكها ، فإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان ، وما ترك النبي ﷺ على الرجال فتنة أضر على الرجال من النساء ، وإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ، وهذه كلها إنذارات من صاحب الرسالة وقد أعذر من أنذر .
- **لأن** : الشهوات استعرت ، والعورات انكشفت ، وتجارة الجسد راجت ، والحرام أطل برأسه ، والحياء صار سلعة نادرة ، وطريق الحرام بات ممهداً ، ووضعت العراقيل في طريق الحلال ، وارتدى المنكر ثياب المعروف ، وأطفئت النار بمزيد الحطب ، واختلط الحابل بالنابل ، وصارت ظلمات بعضها فوق بعض .

أرباح الصفقة

(١) نشوة الانتصار :

استشعار حلاوة الإيمان ولذة المجاهدة وعاقبة الصبر وفرحة الانتصار على بواعث الشهوة ورسل الهوى ، وهذه هي سيماء الرجولة الحقة والشجاعة الخارقة : سمو عن دنايا ، وتطهر من أدناس ، وتحرر من استرقاق ، ونهضة للمعالي :

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته ... يوم النزال ونار الحرب تشتعل

لكن فتى غض طرفا أو ثنى بصرا ... عن الحرام فذاك الفارس البطل

ولهذا فسر **سفيان الثوري** قول الله تعالى ﴿ **وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ [النساء : ٢٨] ، بقوله : " المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها ولا ينتفع بها ، فأي شيء أضعف من هذا ؟ " (١).

لكن قوي الإيمان يملك نفسه ويحزم أمره فيغض من بصره ، لهذا استحق حب الله والوصف بالخيرية على لسان خير البرية ﷺ الذى قال : " **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف** " (٢).

(٢) الفراسة الصادقة :

تظل الفراسة الصادقة منزلة إيمانية محتكرة لمن غض بصره ، محجوزة له لا يزاحمه فيها إلا مثيله ، وهي التي تميز بين الصادق والكاذب بين المحق والمبطل ، بين الباكي والمتباكي ، وهذه أهم ثمار غض البصر وأجلها قال **شاه بن شجاع الكرماني** : " من عمر ظاهره باتباع السنة ، وباطنه بدوام المراقبة ، وغض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة " (٣).

ويبين **ابن القيم** السر في هذا فيقول :

" وسر هذا أن الجزاء من جنس العمل ، فمن غض بصره عما حرم الله عليه

---

(١) ذم الهوى ص (٧٨) - ابن الجوزي - ط دار الكتب العلمية .

(٢) رواه مسلم وأحمد وابن ماجة عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في ص ج ص رقم (٦٦٥٠) .

(٣) إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ص (٥٩) - ابن قيم الجوزية - ط مكتبة الدعوة .

عوَّضه الله من جنس ما هو خير منه ، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات ، أطلق الله نور بصيرته وقلبه فرأى به ما لم ير من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى ، وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه ، فإن القلب كالمرآة والهوى كالصدأ فيها ، فإذا خلصت المرآة من الصدأ انطبعت فيها صور الحقائق كما هي عليه ، وإذا صدئت لم تنطبع فيها صور المعلومات فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون " (١).

كان **عثمان بن عفان** ﷺ علماً من أعلام الفراسة وشيخاً من شيوخها ، استحيا من الله فاستحيت منه ملائكة الله ، وغضَّ طرفه عن الآثام فأورثه الله فراسة يكشف بها كل من أطلق بصره وزنا به ظانا أن أحدا لن يعرف من أمره شيئا ، فإذا بعثمان يعلم ويكشف لا ليفضح بل لينصح ، دخل عليه رجل فقال له عثمان : يدخل علي أحدكم والزنا في عينيه ، فقال : أوحى بعد رسول الله ﷺ ؟! فقال : " لا ، ولكن فراسة صادقة " (٢).

(٣) حماية القلب من شيطان يتسلل :

القلب بيت والعين بابه ، ولا يدخل لص البيت إلا والباب مفتوح ، فإذا دخل سرق حلية الإيمان وجوهر التقوى ، وترك القلب خرابا في خراب ، فاحذر هذا اللص فإنه خفيف الحركة تكفيه لحظة واحدة ليتسلل - لحظة واحدة فقط - ولهذا لما سئل النبي ﷺ عن نظر الفجأة قال : " **اصرف بصرك** " (٣).

أي أحكم إغلاق الباب وضع عليه حراسة أمن مشددة من جنود المراقبة ، ولا تفتحه ولو لحظة واحدة ، عندها يدب اليأس إلى قلب إبليس فيرجع خائبا ويتركك سالما .

لما وقع النزاع بين القلب والعين واتسعت هوة الخلاف بينهما ، كل منهما يلقي باللائمة على الآخر فيما حل من سقم ومن ألم تحاكما إلى الجسم الذي حكم بإدانة العين :

قلبي يقول لطرفي : هجت لي سقما والعين تزعم أن القلب أنكاها

---

(١) السابق ص (٦٠) .

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص (٤٣) - ابن قيم الجوزية - ط مكتبة المدني .

(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن جرير بن عبد الله كما في ص ج ص رقم (١٠١٤).

والجسم يُقسم أن العين كاذبة هي التي هيَّجت للقلب بلواها

لكن العين رفعت القضية للاستئناف فتم عرض النزاع مرة أخرى ، وبعد المداولة أصدر القاضي حكماً بالإدانة لكليهما ، وجاء في حيثيات الحكم : العين والقلب شريكان في جريمة قتل واحدة تقاسما فيها الأدوار :

أنا ما بين عدوين همما قلبي وطرفي

ينظر الطرف ويهوى الـ قلب والمقصود حتفي

(٤) اجتماع القلب على الله :

يقول ابن القيم في إحدى فوائده : " إطلاق البصر ينقش في القلب صورة المنظور ، والقلب كعبة ، والمعبود لا يرضى بمزاحمة الأصنام " (١).

لأن القلب الذي تنقش على جدرانه صورة الحق تنمحي فيه صورة الخلق ، فلا يعود يرى سوى ربه ، ولا يهمه إلا رضاه ، وذلك في سائر أحواله في سر وجهر أو جد وهزل في حديث أو صمت في حل أو ترحال ، وهذه هي البصمة التي يتعارف فيها الصالحون وسط الزحام ، أو هي العقد غير المكتوب الذي وقَّعت عليه ضمائرهم ونفوسهم ، وأمثال هؤلاء جعلوا الهموم هماً واحداً ، فأحسوا بحلاوة المناجاة ولذة الخشوع ونعيم السير على منهاج رب العالمين ، فوصلوا بينما غيرهم يشكو التيه .

نضرب لذلك مثلاً : مسافر قصد سفراً وحدد وجهته ، فحزم متاعه وأعد زاده واستفرغ الجهد والطاقة في السير الحثيث ، مصطحباً معه عزمه وتصميمه على بلوغ الوطن ، وهو مع هذا يحذر كميناً على هيئة زهرة زاهية الألوان فوَّاحة العبير تعرقل سيره ، فتؤخره عن الوصول ، فان استمر على عزمه ويقظته وصل وطنه في أسرع وقت وأتم عافية ، أما إن خدع وسقط فهذا كيف يصل ؟! زمان التزود قصير ما يحتمل التأخير فكيف بمن نام فيه ؟! وقت الرحلة لو بذل كله في المسير خيف عدم الوصول فكيف لو تناولته أيدي البطالة ؟!

فالوطن : الجنة ، **والكمين** : النظرة ، **والمسافر** : أنت .

---

(١) الفوائد ص (٨٩) – ابن قيم الجوزية – ط دار النفائس .

استهوى عالم الحيوان **ابن الجوزي** فأخذ يراقب ما فيه عن كثب ، وضرب مثلا آخر منه ليزيد الصورة وضوحا لمن يشكو عدم الفهم وانخفاض مستوى الذكاء ، فقال :

" تأملوا إلى الفرس ، إذا قدم إلى الماء الصافي كيف يضرب بيديه فيه حتى يتكدر أتدرون لم ؟ لأنه يرى صورته في الماء الصافي وصورة غيره ، فيكدره حتى لا يتبين فيه الصور فيتهنى بالشرب " (١).

(٥) بركة الطاعة :

أمر الله عباده المؤمنين بالغض من الأبصار ، لأن صاحب الصنعة أدرى بصنعته ، والآمر بإصلاح النفوس والقلوب أعلم بما فيه صلاح النفوس والقلوب ، وأهل التقوى والمغفرة خبير بالطرق الموصلة إليهما ، من ذا الذي لبى نداءه فما سعد ؟! من ذا الذي أناخ ببابه فما فاز ؟! من ذا الذي أجاب داعيه فما رضي ؟! من ذا الذي ذل له فما عز ؟! من ذا الذي تاجر معه فما ربح ؟!

قال عز وجل : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون** ﴾ [النور : ٣٠] .

قال الإمام الحجة **أبو حامد الغزالي**: " واعلم أني تأملت هذه الآية فإذا فيها مع قصرها ثلاث معان عزيزة ، تأديب وتنبيه وتهديد :

فأما التأديب : فقوله تعالى ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ ، ولابد للعبد من امتثال أمر السيد والتأدب بآدابه ، وإلا كان سيئ الأدب فيحجب فلا يؤذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة ، فافهم هذه النكتة ، وتأمل ما تحتها فإن فيها ما فيها .

وأما التنبيه : فقوله تعالى : ﴿ **ذلك أزكى لهم** ﴾ ، وينطلق على معنيين والله أعلم ، الأول : ذلك أطهر لقلوبهم والزكاة : الطهارة ، والتزكية : التطهير ، والثاني : ذلك أغنى لخيرهم وأكثر ، والزكاة في الأصل : النمو ، فنبه على أن في غض البصر تطهيرا للقلب وتكثيرا للطاعة ، والدليل على ذلك أنك إن لم تغض بصرك وأرخيت عنانه تنظر في ما لا يعنيك ، فلا تخلو من أن تقع عيناك على حرام ، فإن تعمدت فذنب كبير ، وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك إن لم يرحم الله تعالى .

---

(١) المدهش ص (٤٢٦ ، ٤٢٧) - ابن الجوزي - ط دار الكتب العلمية .

وأما التهديد : فقوله تعالى : ﴿ **إن الله خبير بما يصنعون** ﴾ " (١).

الشروط الجزائية

يقول **أبو حامد الغزالي** : " لو أن يهوديا أخبرك في ألذ أطعمتك بأنه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه ، أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقل تأثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين مع نقصان عقل وقصور علم ؟! " (٢).

إخوتاه . . هل تعلمون أن إطلاق البصر من أوسع مداخل الشيطان ، فإن البصر جارحة لا تملأ بخلاف البطن فإنه متى امتلأ لم يبق له فى الطعام إرادة ، وأما العين فلو تركت لم تفتر من النظر أبدا ، وتكون النتيجة الحتمية :

(١) احتلال القلب :

قلب الإنسان لا يتسع لشريكين : نور وإلا ظلمة ، ملك وإلا شيطان ، هداية وإلا غواية ، إذا غلب جند الإيمان في القلب كانت نوازع الخير وأنوار الهدى وأدوية الطاعات ، وإذا غلب جند إبليس كانت نوازع الشر وآفات الهوى وسموم المعاصي .

وبالنظرة يدخل جند الشيطان القلب ليجاور جند الإيمان ، لكن الشيطان ملحاح طماع لا يقبل الشراكة ، فيظل يتربص ويغوي ويفسد : يلقح النظرة بأخرى إلى أن يحتل نسله القلب كله ، ويرفع على أرجائه راية النصر ثم يقدم الشكر لمن يستحق : النظرة .

قال **ابن سمنون** : " أما سمعت قول النبي ﷺ : " إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة أو تمثال !! فإذا كان الملك لا يدخل بيتا فيه صورة أو تمثال ، فكيف تدخل شواهد الحق قلبا فيه أوصاف غيره من البشر ؟! " (٣).

والصلة بين العين والقلب جد وثيقة ، فالعين عين ماء تصب في خليج القلب ،

---

(١) منهاج العابدين ص (٣١) - أبو حامد الغزالي - ط دار إحياء الكتب العربية .

(٢) إحياء علوم الدين (٤/٤٤٢) - أبو حامد الغزالى - ط دار إحياء الكتب العربية .

(٣) ذم الهوى ص (٧١) .

فإن تكدر صفوها بفضول نظر أو صورة محرمة تكدر الخليج وتغير طعمه ، فلا يقربه ملك يلهم بل شيطان يغوي .

يا مطلق النظر . . إذا رتعت العين بوادي الحسان لاحت في القلب بوادي الخسران ، وإذا حضرت سوق الحرام غاب القلب ، وإذا غابت عنه حضر ، و(إذا حضر قلبك فنسيم الريح يذكرك، وإن غاب فمائة ألف نبي لا يوصلون التذكرة إليك) [١].

ولي ألف باب قد عرفت سبيله ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

(٢) هاوية العشق :

فكما أن أول الحريق الشرر ، فأول العشق النظر ، بحر العشق إذا علا أغرق ، وأخطر شيء على السابح فيه فتح العين في الماء :

عيناي أعانتا على سفك دمي يا لذة لحظة أطالت ألمي

كم أندم حين ليس يغني ندمي ويلي ثبت الهوى وزلت قدمي

إذا سقط إنسان في هذه الهاوية أصبح إلهه هواه ومعبوده معشوقه ، يأمره فيأتمر وينهاه فينتهي ، حلالا كان أم حراما ، عدلا كان أم عدوانا .

والعشق داء لا يحل بأجساد النابهين المجدين ، لكن له في أبدان الفارغين مأوى وفي أذهانهم وقلوبهم مرعى ، قال **ابن عقيل** :

" العشق مرض يعتري النفوس العاطلة والقلوب الفارغة والمتلمحة للصور لدواعي النفس ، ويساعدها إدمان المخالطة فتتأكد الآفة ويتمكن الأنس فيصير بالإدمان شغفا ، **وما عشق قط إلا فارغ** ، فهو من علل البطالين وأمراض الفارغين ، وما عشق حكيم قط ، لأن قلوب الحكماء أشد تمنعا من أن تقفها صورة من صور الكون مع شدة تطلبها ، فهي إن تلحظ تخطف ولا تقف ، وقل أن يحصل عشق من لمحة ، وقل أن يضيف حكيم إلى لمحة نظرة ، فإنه مار في طلب المعاني ، ومن كان طالبا لمعرفة الله لا تقفه صورة عن الطلب لأنها تحجبه عن المصور " [٢].

وقد ألف **ابن الجوزي** كتابا كاملا عن العشق وأضراره أسماه (**ذم الهوى**) ،

---

(١) المدهش ص (٤٧٦) .

(٢) ذم الهوى ص (٢٤٤ ، ٢٤٥) .

عرض فيه إلى من بلغ منهم العشق منتهاه ، حتى دفع بعضهم إلى قتل نفسه أو قتل محبوبه ، أو إلى الزنا أو إلى الكفر والعياذ بالله ، وغير ذلك من كبائر الذنوب وفواحش الفعال ، والعاقل من وعظ بغيره ، ومن لم تنفعه أذنه لم تنفعه عيناه ، أخبروني بالله عليكم .. أي ذل ورق أنكى من ذل رجل يقول لمعشوقته :

أتاني منك سبك لي فسبي ... أليس جرى بفيك اسمي فحسبي

وأي ضلال وكفر يدرك رجلا ككفر من انخلع عن دينه بقوله :

أراني إذا صليت يممت نحوها ... بوجهي وإن كان المصلى ورائيا

أو من انقلب مسخا بقوله :

أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها ... لي الويل مما يكتب الملكان

فكيف ترضى يا مطلق بصره أن تسلك طريقا هذا آخره ، وأن تغرس غرسا هذا ثمرته ؟ فإن لم تفق من سكرتك بعد هذا الكلام فزن نفسك بميزان دقيق ، صنعه **ابن القيم** عساك تتوب وتثوب وتعرف قدرك عند علام الغيوب ، قال رحمه الله :

" من أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان ، فينظر ماذا يوليه من العمل وبأي شغل يشغله " [1].

كلماتنا واضحة ومعانيها أوضح ، لكن ارتداء نظارة الأهواء أضعف أبصار العشاق وأعمى بصيرتهم فإن خلعوها رشدوا ورأوا الطريق واضحا فسلكوه .

(٣) النظرة ولادة :

- **تأمل هذه السلسلة :**

النظرة تولد الخطرة ، والخطرة تولد الفكرة ، والفكرة تولد الشهوة ، والشهوة تولد الإرادة ، والإرادة تولد العزيمة ، فإذا قويت العزيمة وقع المحظور ، وسقطت في المعصية . .

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... كمبلغ السهم بين القوس والوتر

---

(١) الفوائد ص (٦٨) .

والعبد ما دام ذا طرف يقلبه ... في أعين الغيد موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

فإذا عرضت لك نظرة لا تحل فاعلم أنها سهم مسموم من سهام إبليس ، وجهه إلى قلبك وأراد بها قلبك ، فترس منها بدرع ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ [النور : ٣٠] ، حتى تكون من الذين عافاهم الله ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

قيل **لوهيب بن الورد** : أيجد طعم العبادة من يعصي الله ؟ قال : " لا ، ولا من هم بالمعصية " (١).

ما أنفس ما وهبنا وهيب ، وما أشذى الورود التي أهداها لنا ابن الورد ، فحرمان حلاوة الطاعة هو عقوبة الله لمن آثر غيره وقدم سواه ، فأحيا وزره وأمات بره ، وطاف بشهواته سبعا ، وسعى بين لهوه وغفلته أشواط حياته ، وهذا الحرمان في حقيقته نعمة ، وهذه العقوبة عطاء ، إذ هي تنبيه للعبد إن هو ألم بذنب في ساعة غفلة أو ورود هوى ، حتى إذا ما فقد حلاوة طاعته ولذة مناجاته رجع إلى نفسه محاسبا لها ومؤدبا .

(٤) أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ :

■ فإن النظرة إلى ما لا يحل تشغل فكرا في الحرام لو كان تفكرا في ملكوت السماوات والأرض ، لكان من أفضل العبادات ولأثمر زيادة تقى وعلو يقين وارتفاع درجات .

■ وهي تورث حزنا على فوات لذة محرمة ، لو كانت حزنا على أحوال المسلمين وعروقهم النازفة في أرجاء الأرض ، لكان علامة إيمان ودلالة على متانة الرابطة وصدق عقد ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [الحجرات : ١٠] .

■ وهي تصرف وقتا في إثم ومعصية هما ثمن شراء النار ، ولو صرف هذا الوقت في طاعة الله لأورث الفوز بالجنة ولذة النظر إلى وجه الله الكريم .

■ وهي تسيل مدامع حزنا على فراق حبيب القلب ، ولو كانت سيالة من خشية الله لنعم صاحبها بظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله .

---

(١) صفة الصفوة (١٣٢/٢) - ابن الجوزي - ط دار الفكر .